ذم الإمام علي (ع) أصحابه لمّا كرهوا المسير إلى الشام

<"xml encoding="UTF-8?>

1 – الغارات عن قيس بن السكن : سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول ونحن بمَسكِن (1) :

يا معشر المهاجرين ! (ادْخُلُواْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ) (2) . فتلكّؤوا ، وقالوا : البرد شديد ، وكان غزاتهم في البرد .

فقال (عليه السلام) : إنّ القوم يجدون البرد كما تجدون . قال : فلم يفعلوا وأبوا ، فلمّا رأى ذلك منهم قال : أُفٍّ لكم ! إنّها سُنّة جرت عليكم (3) .

2 – شرح نهج البلاغة عن أبي ودّاك : لمّا كره القوم المسير إلى الشام عقيب واقعة النهروان أقبل بهم أمير المؤمنين ، فأنزلهم النُّخَيلة ، وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يُقِلّوا زيارة النساء وأبنائهم حتى يسير بهم إلى عدوّهم ، وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه ، لكنّهم لم يفعلوا ، واقبلوا يتسلّلون ويدخلون الكوفة ، فتركوه (عليه السلام) وما معه من الناس إلاّ رجال من وجوههم قليل ، وبقي المعسكر خالياً ، فلا مَن دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة .

قال نصر بن مزاحم : فخطب الناسَ بالكوفة ، وهي أوّل خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج ، فقال :

أيّها الناس ! استعدّوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله عزّ وجلّ ، ودرك الوسيلة عنده ؛ قوم حَيارى عن الحقّ لا يبصرونه موزَعِين (4) بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب ، نُكْب عن الدين ، يعمهون (5) في الطغيان ، ويتسكّعون في غمرة الضلال ، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل وتوكّلوا على الله ، وكفى بالله وكيلاً .

قال : فلم ينفروا ولم يَنشَروا (6) ، فتركهم أيّاماً ، ثمّ خطبهم فقال (7) : أُفٍّ لكم ! لقد سئمت عتابكم ! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ، وبالذلّ من العزّ خلفاً ؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم ، كأنّكم من الموت في غمرة ، ومن الذهول في سكرة . يُرتَج عليكم حِواري فتعمهون ، فكأنّ قلوبكم مألوسة ، فأنتم لا تعقلون ، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي ، وما أنتم بركن يُمال بكم ، ولا زوافر (8) عزّ يُفتقر إليكم . ما أنتم إلاّ كإبل ضلّ رعاتها ، فكلّما جُمعت من جانب انتشرت من آخر .

لبئس – لعمر الله – سَعْر نار الحرب أنتم ! تُكادون ولا تكيدون ، وتُنْتَقص أطرافكم فلا تمتعضون ، لا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، غُلب والله المتخاذلون ! وأيم الله إنّي لأظنّ بكم أن لو حَمِس الوغى ، واستحرّ الموت ، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس .

والله إنّ امرأً يمكّن عدوّه من نفسه يعرُق لحمه ، ويهشِم عظمه ، ويفري جلده ، لعظيم عجزُه ، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره .

أنت فكن ذاك إن شئت ؛ فأمّا أنا فوالله دون أن أُعطي ذلك ضربٌ بالمشرفيّة تطير منه فراش الهام ، وتطيح السواعد والأقدام ، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

أيّها الناس ، إنّ عليكم حقّاً ، ولكم عليَّ حقٌّ ؛ فأمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا . وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيب ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم .

أنتم أُسود الشرى في الدَّعة ، وثعالب روّاغة حين البأس . إنّ أخا الحرب اليقظان . ألا إنّ المغلوب مقهور ومسلوب (9) .

---

(1) مَسْكِن : موضع بالكوفة قريب من أوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق ، وقعت عندها معركة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ، قُتل فيها مصعب ، وبها قبره (راجع معجم البلدان : 5 / 127) .

(2) المائدة : 21 .

(3) الغارات : 1 / 26 ؛ شرح نهج البلاغة : 2 / 193 نحوه .

(4) مُوْزَع به : أي مولَع به ، وقد أُوزع بالشيء : إذا اعتاده ، وأكثر منه (النهاية : 5 / 181) .

(5) من العَمَه : التحيّر والتردّد . والعَمَهُ في الرأي ، والعَمَى في البصر (لسان العرب : 13 / 519) .

(6) يُقال : جاء القوم نَشَراً ؛ أي منتشرين متفرّقين (النهاية : 5 / 55) .

(7) من هنا إلى آخر الخطبة نقلناه من نهج البلاغة : الخطبة 34 .

(8) زوافر : جمع زافرة ، وزافرة الرجل : أنصاره وخاصّته (النهاية : 2 / 304) .

(9) شرح نهج البلاغة : 2 / 193 وص 189 ، تاريخ الطبري : 5 / 90 ، أنساب الأشراف : 3 / 153 ، الكامل في التاريخ : 2 / 408 ، الإمامة والسياسة : 1 / 170 ؛ الغارات : 1 / 29 وص 33 كلّها نحوه ، نهج البلاغة : الخطبة 34 ، بحار الأنوار : 34 / 48 .